

التدابير الوقائية لمنع تعاطي المخدرات

عبر التنشئة الأسرية

أ. كامل محمد حسين بشارات

فلسطين 2016

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة

للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،

فإن هذه الدراسة تهدف إلى بيان أهمية التنشئة الأسرية في بناء مجتمع تسوده المحبة والألفة والإخاء من ولادة الطفل ومرورا بمراحله العمرية التي تهيئه للتعامل مع المجتمع، من خلال الأساليب التربوية التي يتبعها الوالدان مع أبنائهم في التربية لتشكيل لديهم السلوك التوعوي والإرشادي في تعلم القيم والمعايير المنهجية في مواجهة ما يتجدد في المجتمع من قضايا وأحداث.

مع بيان التدابير الوقائية التي يجب اتخاذها في ظل التنشئة الأسرية لحمايتها من الأخطار التي تهدد الأبناء والأسرة من تعاطي المخدرات كنموذج، لتحول دون وقوع الأبناء في هذا السلوك المنحرف، ضمن ما يواجهون من صعوبات في الحياة في ظل التطور المعاصر، متمثلا ذلك بما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم: " أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم ".

وتعرف التدابير الوقائية بأنها: التدابير المجتمعية الموجهة أصلا للأسوياء لتوعيتهم في عيشهم المستقبلي لكي يبقوا أسوياء من أجل الحد من السلوك المنحرف أو من عدم خرق القوانين من خلال معالجة الظروف التي تساعد على ظهوره¹.

¹ العمر: معن علي، التدابير الوقائية من المخدرات، مجلة الفكر الشرطي، العدد 81، عالم 2012م، المجلد 21، ص

وتعرف المخدرات على أنها: ما غيب العقل دون الحواس². أو هي كل مادة طبيعية أو مستحضرة في المعامل من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة أن تؤدي إلى حالة من التعود والإدمان، يضر بالصحة الجسمية والنفسية والاجتماعية للفرد والجماعة³.

المبحث الأول: أهمية الأسرة

تعرف الأسرة بأنها: رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجته وأطفالهما، وتشمل الجدود والحفدة وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة⁴. أو هي الجماعة التي ارتبط ركنها بالزواج الشرعي، والتزمت بالحقوق والواجبات في طرفيها وما ينتج عنهما من ذرية وما اتصل بهما من أقارب⁵. وقد خلق الله الإنسان ليكون خليفة في الأرض فقال تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة"⁶، وشرع الزواج وما فيه من مودة لبقاء النسل قال الله تعالى: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "⁷. ومع الزواج تنشأ الحقوق والواجبات على كل من الزوجين التي يجب مراعاتها من قبلهما لأجل تمام بقاء واستمرار الزوجية على الحب والمودة والسكينة والطمأنينة⁸.

² الخطاب: شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار عالم الكتب، عام 2003م، ج 1، ص 126.

³ المغربي: سعد، تعاطي المخدرات المشكلة والحل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1980م، ص 23.

⁴ عقله: محمد، نظام الاسرة في الإسلام، الرسالة الحديثة، عمان، الطبعة الثانية، ص 23.

⁵ صقر: عطية، الاسرة تحت رعاية الإسلام، جامعة القاهرة، عام 1980م، ص 33.

⁶ سورة البقرة، آية رقم: (30).

⁷ سورة الروم، آية رقم: (21).

⁸ سابق: سيد، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 2، ص 234.

فإن عكر صفو حياتهما شيئاً كانت المسارعة إلى المصالحة والمكاشفة وقطع دواير الخلاف والنزاع، والاستماع والحوار الذي يقع بين الزوجين له أهمية وسبب لاستدامة الحياة وحفظ صفائها وجمالها، فهي هو رسول الله ﷺ يستمع لزوجته عائشة رضي الله عنها رغم انشغاله عنها في الحديث الطويل فقال في آخره: " كنت لك كأبي زرع لأم زرع"⁹. وما هذه التدابير الوقائية إلا حفاظاً على كيان أسري قوي مترابط إن شاء الزوجان نفذاها وإن شاء أحجما عنها، بل الأمر أعظم فهو التزام ديني وأخلاقي ومسؤولية يلتزم كل واحد منهما بها تجاه الآخر¹⁰.

ومن نعم الله تعالى على الإنسان أن يرزق بالزوجة الصالحة التي تعينه على فعل الخير والطاعة، ولتتم النعمة أن يرزق الله عز وجل الزوجين الولد الذي يتربى في ظلها وكنفهما، فتقع على عاتقهما مسؤولية التربية والتوجيه والتهديب لأبنائها، فمنهما تؤخذ الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والأدب الرفيع قال الرسول ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "¹¹.

ينشأ الابن في أسرته فيتطبع بطباعها ويتأثر بسلوكها، ويقتدي بأفعالها، فأكثر ما يتأثر الابن بأبيه لالتصاقه به وعنايته بشؤونه ورعايته لأمره، فيوجه سلوكه فمتى كان الأب قدوة حسنة لابنه كان سلوكه حسناً، ومتى كان سلوك الأب عكس ذلك كان سلوك الابن معوجاً بعيداً عن معاني الخير والهدى والصلاح¹².

⁹ البخاري، الجامع المسند الصحيح، حديث رقم: (5189)، ج 7، ص 26.

¹⁰ حقي: خاشع، الطلاق تاريخاً وتشريعاً وواقعاً دراسة علمية مقارنة، دار ابن حزم، عام 1417 هـ / 1997م، ص 38.

¹¹ البخاري، الجامع المسند الصحيح، حديث رقم: (1385)، ج 2، ص 100.

¹² عبد الله: محمد عبيد، مسلك الإسلام في بناء الشخصية الإنسانية من خلال العناية بالطفل (بحث)، جامعة بغداد، عام 1981م، ص 31.

فالأُسرة تنشئ الأبناء على الصفات الحميدة والسلوك السوي قال الرسول ﷺ: " أكرموا أولادكم وأحسنوا

أدبهم"¹³، فمن إكرام الابن تعليمه الأدب وحسن الخلق، والعدل مع الأبناء في العطايا وعدم تفضيل

أحدهم على الآخر فقال الرسول ﷺ: " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"¹⁴، فهي إشارة لنزع كل صفات

الحقد والحسد بين الأبناء لكي لا تنحرف التربية إلى مسار الأخلاق السيئة، فيكون الولد عرضة

للانحراف وسلوك طرق ما لا تحمد عقباه كتعاطي المخدرات.

وما أجمل ما قاله الغزالي: " والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل

نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش فيه ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه

وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك"¹⁵.

المبحث الثاني: أنواع التدابير الوقائية

اتباع الطرق والأساليب العلاجية مع متعاطي المخدرات من سبل القضاء على هذه الظاهرة المجتمعية،

إلا أنها قد تستغرق فترة زمنية طويلة في معالجة متعاطي المخدرات لتؤتي ثمارها، علما أن العلاج قد

ينهار في أول الطريق فيرجع المدمن إلى تعاطيه للمخدرات، أو أن يكون العلاج غير مجد أحيانا مع

بعض الأشخاص، ولا سبيل لردعه عن ذلك، فكان من المستحسن البحث عن التدابير الوقائية لتكون

صمام أمان أمام ظاهرة تعاطي المخدرات، وحائل دون الانزلاق في براثنها، ومن خلال هذا أعرض أنواعا

للتدابير الوقائية في ظل التنشئة الأسرية المنشأ الحقيقي للتربية ومحط انطلاق الأبناء إلى الواقع

¹³ ابن ماجة: محمد بن زيد القزويني، سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، حديث رقم: (3671)، ج 2، ص 1211.

¹⁴ النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم: (1623)، ج 3، ص 1241.

¹⁵ الغزالي: محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج 3، ص 74.

المجتمعي والتي لها الدور الفعال في حماية الأبناء من السلوك السيء كتعاطي المخدرات من خلال الآتي:

المطلب الأول: التدابير الوقائية الإرشادية

الأسرة حاضنة الأبناء تتبع منها التعاليم والتربية لهم وتصحيح سلوكهم باتباع التوعية والوعظ والإرشاد لكل ما فيه نفع وخير لهم، والتحذير من كل ما فيه ضرر أو مفسدة عليهم من خلال مراعاة أساليب التوعية الإرشادية ومن أهمها ما يأتي:

أولاً: التدرج في الوعظ والإرشاد بما يناسب المرحلة العمرية للابن داخل الأسرة وبما يتناسب مع تعليمه ومكانته.

ثانياً: أن يلمس الابن في الأسرة حقيقة الوعظ والإرشاد، لا أن تكون مجرد كلمات خيالية أو مثاليات لا تلتزم بها الأسرة ابتداءً.

ثالثاً: إيجاد البدائل عند وجود النهي والزجر من الاقتراب بما هو ضار ومفسد لأبناء الأسرة لأن عدم توفر البديل سبب يقود الانحراف ومسلك لطريق تعاطي المخدرات.

رابعاً: دقة ملاحظة الوالدين لسلوك أبنائهم في ظل الحياة الأسرية وما يطرأ عليها من تغير في سلوكياتهم كالكلام أو المظهر أو الصحبة ومصارحتهم بذلك، وتوضح نقطة التحول الملاحظة عليهم لأن الإهمال هو بداية سلوك الانحراف والخروج عن الأطر السوية لقوام الأسرة.

خامساً: ترابط الرأي بين الوالدين واتحاده وعدم إثارة الخلافات والنزاعات الأسرية أمام الأبناء لضمان استقرارهم النفسي وإنشاء الترابط بين أفراد الأسرة.

المطلب الثاني: التدابير الوقائية التربوية

التدابير الوقائية ثمرة أسلوب التربية التي يسلكها الوالدان مع أبنائهم في ظل التنشئة الأسرية التي كانت قد قامت على أساس متين من لحظة نشأتها ومعرفة كل منهما لحقه وواجبه تجاه الآخر، فتؤتي ثمارها بالتربية السليمة للأبناء فتكون سببا وقائيا من انحراف الأبناء وتخلقهم بالأخلاق السيئة الفاسدة، ومن تلك التدابير ما هو آت:

أولاً: التربية على العبادة والحث عليها، فالعبادة تزكي النفس وتهذب الأخلاق، وتحمي الإنسان من براثن الرذيلة، فجاء الحث من النبي ﷺ للآباء على أمرهم لأبنائهم للصلاة فعن النبي ﷺ أنه قال: " مرو صبيانكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع "16، وما ذلك إلا لما في الصلاة من تربية ووقاية من سوء الخلق، قال الله تعالى عنها: " وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر "17.

ثانياً: التربية على مكارم الأخلاق، فمكارم الأخلاق أساس عظيم في التربية والعلو بالنفس وهمتها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "18، فمن الصعب حصر الأخلاق، إلا أن من الواجب على الوالدين تنشئة أبنائهم على مكارم الأخلاق، وغرس القيم في نفوسهم، ومن ذلك غرس خلق التقوى فيهم لتشكل حاجزا منيعا بينهم وبين ما حرم الله تعالى عليهم متمثلين بقوله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون "19.

¹⁶ الدارقطني: علي بن عمر، سنن الدارقطني، دار المعرفة، بيروت، ج 1، ص 230.

¹⁷ سورة العنكبوت، آية رقم: (45).

¹⁸ البيهقي: أحمد بن الحسن بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، عام 1344هـ، حديث رقم: (21301)، ج 10، ص 191.

¹⁹ سورة آل عمران، آية رقم: (102).

وغرس خلق الرحمة في الأبناء امتثال بما وصف الله به نبيه ﷺ من الرحمة والرفقة بقوله تعالى: " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عندتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم "20، ومن ممارسته ﷺ العملية لخلق الرحمة مع أفراد أسرته الأقربين ففي ما رواه أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع بن حابس إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: " من لا يرحم لا يرحم "21، فغرس الرحمة في نفوس الأبناء تكون سببا في توجيه سلوكهم بالبعد عن إيقاع الضرر بأنفسهم والانحراف وتعاطي المخدرات وإهلاك أبدانهم، وعن إيذاء غيرهم أو إهدار الممتلكات.

وإلى غير ذلك من الأخلاق التي يجب غرسها في نفوس أبنائهم كالعفو، والشجاعة، والصدق، والامانة، والإيثار والتضحية، وحسن المعاشرة، وطيب الكلام.

ثالثا: التربية على التعليم، فالأسرة واجبها تعليم أبنائها خير العلوم وأنفعها ليسترشدو بعلمهم إلى صالح ما ينفعهم، فيجلبوا النفع لأنفسهم، ثم لأسرهم ثم لمجتمعهم، فيكونوا منارة يستنار بهم ومرجعا يقتدى بهم قال الله تعالى: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "22.

رابعا: التربية على العمل وكسب الرزق، فعلى الأسرة حث أبنائها على حب العمل وكسب الرزق من خلال سد حاجاتهم الأساسية، فلا يكونوا عالة على غيرهم فتتحرف بهم السبل إلى أن يستغرق في البحث عن الراحة وسلوك سبيل المنحرفين في النهب والسلب، ومن هنا جاء الأمر من النبي ﷺ للتخلص

²⁰ سورة التوبة، آية رقم: (128).

²¹ البخاري، الجامع المسند الصحيح، حديث رقم: (5997)، ج 8، ص 7.

²² سورة الأنبياء، آية رقم: (7).

من كل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: " لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه "23.

خامساً: التربية على استغلال وقت الفراغ والترويح عن النفس بما هو نافع، فالفراغ نعمة مغبون فيها كثير من الأسر قل من ينظر إليه ويستغله في النافع من الأمر، ومن هنا دور الأسرة يتعاظم في استغلال أوقات أبنائهم وتعليمهم النافع في وقت فراغهم فعن النبي ﷺ أنه قال: " إن للولد علينا حقاً كحقتنا عليهم وحق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن يثبوا على الخيل وثباً "24، ومما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: " علموا أولادكم السباحة والرماية وأن يثبوا على الخيل وثباً "25.

سادساً: التربية على احترام الذات، فالأبناء في ظل الأسرة كالجسد الواحد، فما لا تخلوا منه الأسر وقوع الخطأ من أبنائها، إلا أن حكمة الأسرة في التعامل مع أبنائها عند وقوعهم في الزلل والخطأ اتباع أسلوب التوجيه للأبناء والزجر والتوبيخ دون التشهير والاستخفاف بهم، أو عقد مقارنات بين الأبناء في ظل الأسرة مما قد تولد لديهم الشعور والنفور والانتقام من الأسرة أولاً ثم من المجتمع ثانياً، فيكونوا عرضة للانحراف ولقمة سهلة للوقوع في شرك المخدرات.

المطلب الثالث: التدابير الوقائية الرادعة

²³ البخاري، الجامع المسند الصحيح، حديث رقم: (1471)، ج 2، ص 123.

²⁴ الألباني: محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام 1410هـ / 1990م، حديث رقم: (2731).

²⁵ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، الطبعة الثانية، ج 13، ص 12.

بعد سلوك التدابير الإرشادية والتدابير الوقائية التربوية للحفاظ على تنشئة الأسرة في ظل القيم والأخلاق إلا أن مع هذا قد يوجد من الأبناء من لا يرتدع بذلك فكان لا بد من إيجاد تدابير وقائية رادعة لانحراف سلوك الأبناء وارجاعهم للمسلك الصحيح السوي الذي تقوم عليه الأسرة، ومن ذلك:

أولاً: التهديد بعذاب الله تعالى والخوف من عقابه، فتربط تصرفات الأبناء في الأسرة غير الصحيحة بما أعده الله تعالى لمرتكبها من عقاب وعظيم عذاب لردعهم وابعادهم عن سلوك هذا الطريق كبيان الحكم الشرعي من تحريم الله تعالى لتعاطي المخدرات وما أعده الله تعالى من عقاب لمتعاطيها.

ثانياً: حزم الآباء مع أبنائهم، فانقياد الآباء لأهواء أبنائهم وتلبيتها بشكل مفرط نابع عن عاطفة وحنان يؤدي للتساهل مع سلوكيات الأبناء فيدفعهم للانحراف والفساد، وعلى العكس الحزم القسوة والشدة والصرامة مع الأبناء تؤدي إلى النفور وشق عصا الطاعة التي تأخذ بيد الأبناء إلى اليأس الذي يدفعهم إلى اللامبالاة وارتكاب ما لا تحمد عقباه²⁶.

ثالثاً: تصحيح الأفكار والمعتقدات الخاطئة، فالأسرة جزء صغير من مجتمع مترام الأطراف فيه من الاعتقادات الصحيحة والفاصلة، إلا أن التعليم والتربية للأبناء طريق منيع وحسن حصين لمنع انتشار الأفكار الفاسدة ووسائل الانحراف بين الأبناء.

رابعاً: بيان الجريمة وعقوبتها، تتعدد الجرائم فتتعدد عقوباتها، وذكر الجريمة وما تستحق من عقاب يكون نوعاً رادعاً وحائلاً للأبناء بالبعد عن التفكير في مثل هذا، إلا أن غاية تحقق ذلك تكون من خلال التراكمات التربوية الوقائية التي تلقاها الأبناء من خلال الوعي الأسري.

²⁶ حجازي: سامي عفيفي، التنشئة الدينية والتحديات العاصرة في عصر العولمة، مجلة فكر وإبداع، ص 26.

خامسا: تقديم الرعاية العلاجية للأبناء، امتثالا بما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برأ بإذن الله عز وجل " ²⁷.

الخاتمة

أولاً: النتائج

تأكدت أهمية الأسرة كونها حاضنة الأبناء ومنبع التربية والأخلاق. وتبينت أهمية التدابير الوقائية لحماية الأسرة من الوقوع في شرك تعاطي المخدرات. وتنوعت التدابير الوقائية في ظل التنشئة الأسرية من خلال التدابير الإرشادية والتدابير الوقائية التربوية والتدابير الوقائية الرادعة.

ثانياً: التوصيات

عقد الندوات لرفع مستوى الوعي الثقافي لدى أولياء الأمور لتقوية الأسرة على مواجهة المخدرات. التعاون المتبادل بين الباحثين الشرعيين والاجتماعيين والقانونيين والأطباء المتخصصين في دمج جميع التدابير الوقائية ليلم إثراء الموضوع بشكل أتم وأكمل لكونه ما زال بحاجة للمزيد. ثالثاً: إيجاد التشريعات الملزمة ونشرها في وسائل الإعلام وبث الوعي في ذلك لتكون حائلاً بين الأسر ووقوع أبنائها في تعاطي المخدرات.

المراجع

²⁷ النيسابوري، صحيح مسلم، حديث رقم: (2204)، ج 4، ص 1729.

الخشيت، محمد، المشاكل الزوجية وحلولها في ضوء الكتاب والسنة والمعارف الحديثة، مكتبة القرآن.

صقر، عطية، الاسرة تحت رعاية الإسلام، جامعة القاهرة، عام 1980م.

عبد الله، محمد، مسلك الإسلام في بناء الشخصية من خلال العناية بالطفل، جامعة بغداد، 1981م.

العمر، معن، التدابير الوقائية من المخدرات، مجلة الفكر الشرطي، العدد 81، عالم 2012م، المجلد

21.

المغربي، سعد، تعاطي المخدرات المشكلة والحل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1980م.